تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

المصطلحات والمفاهيم الواردة في المصادر الغربية حول تاريخ الجزائر

(الفترة العثمانية 1519-1830م)

أ.د/ أرزقي شويتام

قسم التاريخ جامعة الجزائر2

الملخّص: أولى المؤرخون الغربيون في دراساتهم اهتماما خاصا لتاريخ الجزائر في الفترة الحديثة. وقد زاد ذلك الاهتمام بعد أن أصبحت الجزائر مستعمرة فرنسية في القرن التاسع عشر. وقد تعود دوافع تلك العناية بتاريخ الجزائر إلى أغراض سياسية تخدم مصالح المحتل. وبالرغم من غزارة الكتابات التي خصصت لتاريخ الجزائر، فإن التركيز فيها كان على بعض الجوانب منه دون غيرها، مثل أصل السكان وعلاقاتهم بالسلطة العثمانية، وطبيعة الحكم العثماني في الجزائر، وقضايا أخرى مثل القرصنة والأسرى. والملاحظ أن الموضوعات المدروسة كان الغرض منها تبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر من جهة، وتعزيز ظاهرة الاحتلال من جهة أخرى.

يتضح بعد التمعن في تلك الدراسات، أنها تعوزها الموضوعية العلمية، فهي تعكس وجهة نظر أصحابها ومواقفهم، وما يوكد ذلك تلك المصطلحات والمفاهيم التي وظفوها في تناولهم لبعض القضايا المذكورة. وبناء على ما ذكرناه، فإن هناك حاجة ملحة لإعادة قراءة ما كتب عن تاريخنا، قصد تصحيح المصطلحات والمفاهيم التي وظفها الغربيون في دراساتهم، وذلك حتى ننطلق في كتابة تاريخنا على أسس سليمة.

الكلمات المفتاحية: تاريخ الجزائر الفترة العثمانية، المصادر الغربية، المصطلحات والمفاهيم، الموضوعية العلمية

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

Résumé

Les auteurs occidentaux ont consacré un nombre impressionnant d'écrit à l'histoire de l'Algérie durant la période moderne. L'intérêt majeur de ces écrits, était de concrétiser les objectifs politiques du colonisateur.

Malgré le nombre considérable d'étude qui traitaient l'histoire de l'Algérie, la grande partie était consacrée à l'étude de thèmes bien déterminé, à savoir : l'origine de la société algérienne et ses relations avec le pouvoir Ottoman en place, la nature de la présence ottomane en Algérie et d'autres thèmes, tel que la piraterie, les captifs chrétiens.

Nous constatons que les thèmes abordés par les auteurs occidentaux leur but était de justifier la conquête de l'Algérie d'une part et de renforcer le phénomène de la colonisation d'autre part.

Nous avons constaté après une lecture approfondie de différentes études, qu'elles étaient subjectives, elles ne reflétaient que l'avis personnel de leurs auteurs.

Le premier objectif de notre étude est de corriger la terminologie et les concepts que contiennent les études occidentales relatives à l'histoire de l'Algérie à l'époque moderne.

Key words :
l'Algérie durant la période moderne , Les auteurs occidentaux, bases scientifiques et objectives

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

مقدّمة :

أولت المصادر الغربية أهمية خاصة لتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية. وتناولت بالدراسة العديد من الجوانب. ومن القضايا التي نالت حيزا واسعا بالاهتمام، فئات المجتمع الجزائري وأصولها، وطبيعة الحكم العثماني في الجزائر وعلاقات الحكام بالسكان، وظاهرة القرصنة والأسرى. وبالرغم من غزارة المعلومات التي وردت في تلك المصادر، فإنها تكاد تكون نفسها. كما أنها كتبت بمنظور خاص، متأثرا بالوضع الذي كان يعيش فيه أصحابها في الجزائر، كأسرى، ورجال الدين، وقناصل، وبالظروف التي اشتد فيها التنافس بين المسلمين والمسحيين، مما جعل مواقفهم وأحكامهم من بعض القضايا، غير محايدة.

والجدير بالملاحظة، هو أن أصحاب تلك المصادر قد اعتمدوا في كتاباتهم بالنسبة للقرنين 16 و 17م، على ما ألفه هايدو Haëdo ([1])، والأب دان P. Dan ([2])، ودارندا D'Aranda ([3]) وغيرهم، مما جعل أحكامهم تتأثر بهم. أما عن الفترة التي عاصروها، فإن جهلهم لنفسية المجتمع الجزائري، وأعرافه، وأساليب تسييره، جعلتهم يبتعدون عن الحقيقة.

وهناك نوع آخر من المؤلفات التي يمكن اعتبارها مصادر، لكون أصحابها عاصروا الفترة القريبة من نهاية الحكم العثماني في الجزائر، وكان معظمهم من الأوربيين الذين جاؤوا إلى الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي لها. ونذكر منهم: بربروجر، وفيرو، وديفو، وبود، وكاريت، وروزيه، وفايست، وروبان وغيرهم. وقد اعتمد هؤلاء جميعا في كتاباتهم التي تناولوا فيها المجتمع الجزائري من مختلف جوانبه، على الوثائق المحلية، وشهادات الأهالي، والروايات الشفوية، والزيارات الميدانية، والشواهد المادية وغيرها. فقد توصلوا إلى جمع رصيد هام من المعلومات، إلا أن معظم الوثائق والمخطوطات الأصلية، التي اعتمدوا عليها، لم نعثر عليها، مما جعل عملية إعادة قراءتها، ونقدها، وتحليلها مستحيلة.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

وما يمكن ذكره، هو أن إقدام أولئك العسكريين والإداريين الفرنسيين على جمع التاريخ الجزائري، ودراسته، كان الغرض منه خدمة الوجود الاستعماري في الجزائر، وتبريره، ومحاولة فهم عقلية المجتمع الجزائري، لتشديد قبضته عليه. وبالرغم من غزارة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع الغربية، إلا أنها تفتقر إلى الحياد والنزاهة العلمية، فهي تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط. كما أنهم وظفوا مصطلحات ومفاهيم خاصة بهم، وتخدم أغراضهم الآنية والبعيدة. فلما يتناولون الوجود العثماني في الجزائر وحكمهم، كانوا يوظفون العبارات الآتية، السيطرة التركية في الجزائر La Domination turque en Algérie، والجزائر تحت السيطرة العثمانية L'Algérie sous la domination turque. كما أنهم كانوا يفضلون استعمال مصطلح الأتراك بدلا من العثمانيين، والقسطنطينية بدلا من إستانبول، والعبيد المسيحيين Esclaves chrétiens بدلا من الأسرى Captifs، والقوات التركية بدلا من القوات الجزائرية، كأن الجزائريين لا دخل لهم في المعارك والمقاومة التي خاضتها الجزائر ضد الغارات الأوربية، علما أن عدد المتطوعين الجزائريين في الجيش، كان يفوق عدد الأتراك العثمانيين.

وقد حذ المؤرخون الغربيون عامة حذو المؤلفين الفرنسيين، فكتاباتهم لا تختلف في مجملها عما جاء في مؤلفات الفرنسيين، وذلك يعود في نظرنا إلى اعتمادهم الكلي على المصادر والمراجع الغربية، لاسيما الفرنسية منها، وهناك بعض الاستثناءات، نذكر منها: فيشر قودفري S. G. Fisher ([4])، و برجو L. Berjaud ([5])، وبيير بيون Pierre Pean ([6]).

ونحاول في هذه الدراسة ، قدر الإمكان، عرض وتصحيح ونقد بعض الأحكام والمفاهيم والمصطلحات الواردة في تلك المصادر. ونكتفي بتقديم عينة من المصطلحات والمفاهيم، التي وظفها الغربيون في كتاباتهم في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وعلاقات الحكام بالمحكومين، وظاهرة القرصنة.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

1- المصطلحات والمفاهيم الموظفة في دراسة المجتمع الجزائري:

قسم الغربيون في دراساتهم المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية (1519-1830م)، إلى عدة مجموعات، معتمدين في ذلك على عنصر العرق. فصنفه بعضهم إلى سبع مجموعات، هي : الأتراك، والأعلاج، والكراغلة، والعرب، والأندلسيون، واليهود، والسودانيون ([7]). وهناك من قسم هذه المجموعات إلى جماعات فرعية، فتم تقسيم الأتراك إلى عناصر تركية، ودخلاء، انضموا إليهم، مثل اليونانيين، والصقليين، والألبانيين، والكورسيكيين وغيرهم ([8]). وقد حاول الغربيون في دراساتهم إبراز علاقات الصراع القائم بين تلك المجموعات، وكانوا يرجعون أسبابه إلى طبيعة الحكم العثماني، الذي كانوا يصفونه بالاستبداد والجور.

والواقع أن هذه التقسيمات التي وردت في الدراسات الغربية، تجعلنا نتساءل عما إذا كانت هناك دولة أو أمة تضم شعبا من عرق واحد؟ فإذا حولنا دراسة البنية السكانية لأية دولة، قديما أو حديثا، فإننا نلاحظ أنها تحتوي على خليط من الأجناس والأعراق. وقد يكون الاختلاف الوحيد بين الدول، يكمن في مدى ارتباط سكانها وانسجامهم. ولا يختلف المجتمع الجزائري عن غيرها من المجتمعات. وبالرغم من تنوع فئاته السكانية، فإنها كانت تتميز بالانسجام والترابط. وقد يعود ذلك التعايش بين أفراد المجتمع إلى الدين الاسلامي، والخطر الخارجي الذي كان يهدد كيانه في معظم فترات الحكم العثماني ([9]). كما وجدت الأقليات المنتسبة إلى الملل المختلفة، المقيمة في الجزائر الرعاية الكاملة، وذلك لما كان يتميز به الدين الإسلامي من قيم، مثل التسامح، والتعايش، واحترام حرية المعتقد. وهناك من قال عن سكان الجزائر: **" إنهم عبارة عن خليط من العرب والبربر وبقايا الأجناس، التي غزت البلاد عبر العصور، والمهاجرين من الأندلس، والأتراك"** ([10]).

نلاحظ أن هذا الرأي عن أصل سكان الجزائر، رغم صدوره عن مؤرخ أمريكي، إلا أنه لا يختلف عن آراء الفرنسيين والأوربيين عامة، الذين أولوا اهتماما خاصا لهذا الموضوع. فكلهم كانوا

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

يعتقدون أن بعض الفئات السكانية للمجتمع الجزائري، كانت من بقايا الرومان، والوندال، والبيزنطيين. والواقع ان أقوالهم لم تستند إلى مصادر مادية أو خطية، بل اكتفوا بتصنيف السكان، والحكم عليهم، من خلال ملامحهم الخارجية، مثل الشعر الأشقر، وعيون الزرق، وطول القامة ([11]). وبقي هذا الرأي راسخا عند الغربيين، الذين جاؤوا إلى الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، مثل الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان، الذي زار الجزائر في السنوات الأولى من الاحتلال. فقال عن بعض السكان الوافدين على إحدى أسواق مدينة سطيف، ما يلي: " **ولكن أكثر من استولى على انتباهي ممن حضر إلى السوق من القبائل المتعددة، يتمثل في الوافدين من عموشة، أو بالأحرى، من قسم من القبيلة التي تسمى باسم بني حوامر. فهؤلاء ينحدرون من صلب أولئك الذين احتلوا الجزائر لمدة قرن، أعني الوندال. فقد كنت أتأمل باهتمام كبير، بل بعواطف حارة هؤلاء الذين يمكن أن يكونوا من أبناء قبيلتنا. لقد جعلني انعدام الوثائق عنهم، أكتفي بتأمل ملامح ممثلي هذا الجنس الشهير لأصدر حكمي عليهم** " ([12]).

وقد حاذ بعض المؤرخين المعاصرين حذو مؤرخي الفترة الحديثة في تناولهم لأصل سكان الجزائر، لاعتمادهم في دراساتهم على المصادر الغربية، لاسيما الفرنسية. فقد ذكر أحدهم: " **لقد عرف شمال إفريقية تاريخيا، ورود كثير من السلالات، منها: الفينيقيون، والرومان، والبربر، وغزاة العرب، والفرس، وجميع هؤلاء قد تقاطعوا، تاركين وراءهم آثارا من دمائهم مع السكان، الذين وجدوهم، بقطع النظر عن أصلهم. ومن الصعب جدا معرفة كمية قطرات الدم التي خلق منها البلدي، والقبائلي، والعربي** " ([13]).

يبدو من قول المؤرخ الأمريكي، أنه قد تأثر بأفكار المدرسة الغربية، لاسيما الفرنسية، التي كانت تنعت الفاتحين لشمال إفريقيا بالغزاة، بينما كانت تصف الشعوب الأوربية الأخرى، التي توافدت على المنطقة، بأصحاب الرسالة الحضارية ! وقد يعود سبب عدم التزام وولف بالحياد، إلى

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

كونه استقى جل معلوماته من المصادر الأوربية، لاسيما الفرنسية، ولم يستعين بالمصادر المحلية والموضوعية.

ومهما تعددت الآراء حول أصل سكان الجزائر، فإن القنصل الإنجليزي في الجزائر وليام شالر (1816-1824م)، قد أشاد بتنوع الأجناس في المجتمع الجزائري، حيث قال: " **وهذا الاختلاط له ميزة عظيمة فيما يبدو، حيث أنه لا توجد سوى شعوب قليلة في العالم تفوق سكان الجزائر في هذا المجال، وملامحهم بصفة عامة، قوية التعبير، وألوانهم ليست أغمق من سكان جنوب إسبانيا** " ([14]).

يعد في نظرنا البحث في أصل السكان، مهما كان الغرض منه، جدلا عقيما، ولكن ما يمكن ذكره، هو أن الامتزاج الفعلي، الذي عرفه المجتمع الجزائري، والذي أدخل عليه بعض الملامح الأوربية، لم يكن في الفترة الرومانية، حسب إدعاءات الغربيين، بل كان عن طريق الأندلسيين، والأتراك العثمانيين، والأعلاج (المهتدين)، الذين اختلطوا بالعنصر المحلي، الأمازيغ والعرب، لاسيما على مستوى المدن. أما المجتمع الريفي، الذي كان يمثل 90 % من العدد الإجمالي للسكان، فقد حافظ على تركيبته السكانية، لعدم تعرضه للمؤثرات الخارجية، إلا أن بعض القبائل القاطنة في المناطق السهلية، حيث تعقد الأسواق الأسبوعية، وتمركز الحاميات العثمانية، قد طرأ عليها تغيير، لاحتكاكها الدائم بالأتراك العثمانيين.

2 – المصطلحات والمفاهيم الموظفة في دراسة طبيعة الحكم العثماني في الجزائر :

انتقد الضابط الفرنسي استرهازي W. Esterhazy سياسة بلاده المتبعة في الجزائر في بداية الاحتلال، لما أقدم على إجراء مقارنة بين سياسة الفرنسيين وسياسة العثمانيين في الجزائر، فقال: " **إن العثمانيين قد أحسنوا استغلال ظاهرة التنوع البشري الموجود في الجزائر، فهم ليسوا بحاجة إلى تشتيت صفوف السكان لإخضاعهم، لأنهم عرفوا كيف يستفيدون من الانقسامات الموجودة، وهنا يكمن ضعف سياسة الفرنسيين، الذين كان الأجدر بهم الإقتداء بالعثمانيين في هذا المجال** " ([15]).

أعتقد أن هذا الرأي بعيد كل البعد عن الحقيقة، لأن الفرنسيين كما هو معلوم، قد اعتمدوا هم أيضا

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

على بعض القبائل المحلية أثناء توسعهم في دواخل البلاد، وإن لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم، وضمان ولاء القبائل لهم، فإن ذلك يعود إلى اختلاف أغراضهم عن تلك التي جاء من أجلها العثمانيون إلى الجزائر. وما لم يذكره استرهازيEsterhazy ، هو أن العثمانيين قدموا إلى الجزائر بطلب من أهلها للدفاع عن دينهم وبلادهم من الاعتداءات الأوربية. أما الفرنسيون، فإنهم جاؤوا لاحتلال البلاد، وإبادة العباد، وتدنيس مقدساتهم. ولهذه الاعتبارات، عجز الفرنسيون عن تحقيق ما حققه العثمانيون. وتدعيما لما أوردناه، نذكر ما قاله أحد الدارسين عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء قدوم العثمانيين إلى الجزائر، فقال: **" إن الدين كان المبرر الأول لظهور العثمانيين في المشرق والمغرب، فلو لا الحروب الصليبية التي شنتها أوربا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر، لما كان هناك مبرر لتدخل آل عثمان. فقد كانوا مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية، وكانوا بالطبع يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيدين، فوجدوهم في رجال الدين، وخصوصا المرابطين"** ([16]).

يرى بعض المؤرخين الغربيين أن علاقات الإدارة العثمانية بالسكان، كانت مقصورة على جمع الضرائب، وأن الوجود العثماني في الجزائر لا يختلف عما كان سائدا في الأقطار الخاضعة للدولة العثمانية. وكانت الإدارة في نظرهم، غالبا ما تلجأ إلى استعمال العنف لاستخلاص الضرائب ([17]). إن هذا الرأي يستوقفنا، ويتطلب منا مناقشته بكل موضوعية، حتى نظهر الحقيقة. وتكون البداية من تلك التحولات الهامة التي عرفها العالم في أواخر القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر، وما ترتب عليها من انعكاسات خطيرة على العالم الإسلامي، بما فيه الجزائر ([18]).

كان قدوم العثمانيين إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر، نتيجة لتلك الظروف والتطورات التي عرفها العالمان الإسلامي والمسيحي، لاسيما منطقة حوض الغربي للبحر المتوسط. فقد شهدت العلاقات الدولية تأزما، واشتد التنافس بين الدولة العثمانية والدول الأوربية حول المسالك التجارية، ومناطق النفوذ. فأصبحت منطقة المغرب، وعلى رأسها الجزائر، محطة أطماع الدول الأوربية، فتعرضت مدنها الساحلية للاحتلال، وشنت ضدها حملات عسكرية، ولم يكن في وسعها

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

الدفاع عن نفسها، بسبب ضعفها، وافتقارها للوحدة السياسية، والتنظيم. فكادت أن تتحول كل منطقة شمال إفريقية إلى مملكة مسيحية. نلاحظ أن هذه الحقائق التاريخية لم تذكرها المصادر الغربية، فتجاهلت الإشارة إلى أن الجزائر كانت ضحية سقوط غرناطة عام 1492م، وما ترتب عليه من انعكاسات، وإلى تلك الظروف الحرجة التي كانت تمر بها في تلك الفترة، و إلى الأطماع الاستعمارية المتزايدة، والتي كانت سببا في قدوم العثمانيين، بل كان تركيزها منصبا على الضرائب التي كانت تستخلص من السكان، ويوحي ذلك بأن تلك الظاهرة كانت مقصورة على العثمانيين فقط دون سواهم.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن عملية جمع الضرائب ليست حديثة، و لم تكن مقصورة على المجتمع الجزائري، بل كانت سائدة منذ أن ظهرت الدولة إلى الوجود، فهي تعد سلوكا حضاريا، فلهذا لاحظنا أن العثمانيين اعتمدوا منذ بداية عهدهم في الجزائر على السكان في جمع الأموال، للاعتناء بالجيش وتسليحه، لضمان استقرار الدولة واستمرارها. وكان ذلك بوضع نظام ضريبي، تختلف نجاعته وفعاليته من فترة لآخرى، ومن منطقة لآخرى. وفي كل الأحوال، فإن قيمة الضريبة التي كان يدفعها السكان، كانت تحددها القوانين الشرعية، التي تقدرها بعشر الثروة. وهل تساءل الغربيون عن نوعية الضرائب وقيمتها التي كانت مجتمعاتهم مطالبة بها ؟

نذكر هنا، أن المجتمعات الأوربية، لاسيما خلال العصور الوسطى، كانت مجبرة على دفع الضرائب إلى جهتين (السلطة المدنية الممثلة في الملك، والسلطة الدينية الممثلة في الكنيسة)، بل أكثر من ذلك، فإن نظام الاقطاع المتبع آنذاك، جعل من أفراد المجتمع أقنان، خاضعين لأسيادهم.

وقد اضطرت الجزائر، لمواجهة الظرف الصعب، إلى الاستعانة بالدولة العثمانية ([19])، التي كانت تعد القوة الإسلامية الوحيدة القادرة على التصدي للمد الاستعماري الإسباني. وأصبح من مهام العثمانيين، وأولوياتهم، الدفاع عن الجزائر من الأخطار الخارجية. وكان ذلك يتوافق مع إستراتيجيتهم في البحر المتوسط.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

لم يكن النظام الضريبي الذي وضعه العثمانيون في الجزائر عشوائيا، بل كان يخضع لعدة قوانين ومعايير موضوعية، تختلف درجة احترامها والالتزام بها من ظرف لآخر. فكانت الإدارة تراعي أثناء فرضها للضرائب، وضع البلاد الاقتصادي والاجتماعي، كما أنها كانت تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التضاريس والأحوال المناخية لكل جهة من البلاد ([20]). وبالرغم من كل هذه الإجراءات الميسرة في عملية جمع الضرائب، فإن الإدارة كانت تضطر في بعض الحالات إلى استعمال القوة ضد القبائل الجبلية والصحراوية المتقاعسة عن احترام التزاماتها تجاه الدولة، والذي كان يعود سبب ذلك، إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية لتلك القبائل.

ومهما قيل عن سياسة الإدارة العثمانية في تعاملها مع سكان الأرياف، فإنها كانت على ما يبدو، تتميز بالليونة، وهذا ما أكده حمدان بن عثمان خوجة، إذ قال: " **عندما يخضعون قبيلة عدوة ثم تستسلم تلك القبيلة، يستقبلونها بحفاوة، ويعيدون إليها ما أخذ منها أثناء الحرب. وقد يعوضون لها الأشياء المتلفة حتى يتمكنوا من جلبها إليهم، بعد الانتصار عليها. لقد كانوا يبرهنون لمثل هذه القبيلة على ثقتهم بها، ويدفعونها إلى أن تعيش هادئة** "([21]) . نلاحظ أن ما ورد في هذا المصدر، يدحض كل ما ذهبت إليه المصادر الغربية، التي بالغت في وصف علاقات الحاكمين بالمحكومين.

هذا عن علاقات الحكام العثمانيين بالمجتمع الريفي. أما عن علاقاتهم بسكان المدن، فإن الطرفين كانا يعيشان في وئام منذ أن تم التحاق الجزائر بالدولة العثمانية. وقد تمكنت بعض الأسر المحلية من الحصول على وظائف إدارية، مما سمح لها بأن تساهم في تسيير شؤون البلاد، نذكر على سبيل المثال، أسرة الفكون ([22])، وعبد المؤمن، والمسبيح ([23]) في مدينة قسنطينة ([24]). وكان لأعيان مختلف الفئات الاجتماعية القاطنة في المدن، وأمناء الحرف والمهن ([25])، علاقات متينة بالسلطة الحاكمة، وهذا ما يفسر الانسجام الموجود بين الطرفين طوال فترة الحكم العثماني. كما أن الأخطار الخارجية التي كانت تهدد كيان الدولة الجزائرية، قد ساهمت إلى حد كبير في خلق نوع من التماسك بين أفراد المجتمع، بغض النظر عن الجماعة التي كانوا ينتسبون إليها. وقد تعزز هذا الترابط، بإقدام

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

بعض الحكام على مصاهرة بعض الأسر الجزائرية. نذكر هنا الداي علي خوجة، الذي كان صهرا لابن مالك، مفتي المالكي في مدينة الجزائر ([26]).

وما يدل على حرص الحكام العثمانيين الشديد في تطبق العدالة، وإنصاف أصحاب الحق، فكانوا يتتبعون عن كثب قضايا رعيتهم.

وقد لخص الضابط الفرنسي روزيه Rozet، موقف السكان من الأتراك العثمانيين في بداية الاحتلال، قائلا: " **فبالرغم من أن سكان مدينة الجزائر قد عانوا من عجرفة الأتراك، إلا أنهم لم يذكروهم بسوء، بل بالعكس، فكل الذين اتيحت لي فرصة التحدث إليهم، كانوا معجبين بهم**" ([27]). وهذا ما يؤكد عدم رضا الجزائريين بالاحتلال الفرنسي، وفي نفس الوقت، يدحض آراء أولئك الذين وصفوا علاقات الأتراك العثمانيين بالسكان بالتنافر.

وما كان يدل على حرص الحكام الشديد في تطبيق العدالة بين الناس، هو تتبعهم عن كثب لقضايا رعيتهم، فكانوا يستجيبون لشكاوى السكان، فكم من باي أو موظف عزل أو قتل لسوء معاملاته للسكان. ويذكر العتري في هذا الصدد : " **أن دالي، باي قسنطينة، كان رجلا قتالا، يأخذ أموال الناس بالباطل، فاشتك به ناس قسنطينة إلى الباشا بالجزائر، فقتله في عام 1679م** ([28]).

وقد تميز عنصر الأتراك العثمانيين عموما بالانضباط والطاعة، فكانوا يحترمون تعاليم الدين، ولم يحاولوا فرض عاداتهم، وتقاليدهم على السكان، بل حافظوا على ما كان موجودا في الجزائر. وكانوا يتميزون بالتسامح الديني مع جميع الملل، التي كانت موجدة في البلاد ([29]). وهناك من كان يرافق أسراه المسيحيين إلى الكنيسة لأداء شعائرهم الدينية ([30]).

3 – المصطلحات والمفاهيم الموظفة في الاقتصاد الجزائري:

حاولت المصادر الغربية التقليل من امكانات الجزائر الاقتصادية، فقد ذكر فالبير Valliere القنصل الفرنسي في الجزائر في القرن الثامن عشر،" **أن الجزائر لا تملك المصنوعات التي**

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

تمكنها من التصدير، والقيام بالمبادلات التجارية مع الأمم الأخرى، مقابل النقود، وأن كل التجارة التي تمارس هنا، كانت مخصصة للاستهلاك المحلي. أما السلع المستوردة من الخارج، فهي ضئيلة جدا، ويعود ذلك إلى طبيعة معيشة السكان المتواضعة، ولبساطة لباسهم، فهم يكتفون بالقليل، فالسلع التي كانت تأتي من مرسيليا، كانت في يد الأوربيين، أما ما كان يستورد من ليفورنة، فهو تحت سيطرة اليهود" ([31]). وهناك من كان ينفي وجود التجارة إطلاقا في الجزائر، بل كانوا يدعون أن الاقتصاد الجزائري، كان قائما على مداخيل القرصنة. فقال ديستري S. D'Estry في هذا الموضوع: " **كانت ملاحة الجزائريين تتلخص في القرصنة، وتجارتهم البحرية في بيع الغنائم أي الأسرى المسيحيين والمراكب التي استولوا عليها** " ([32]). وقد أقر فاليير بالأسباب التي كانت وراء تراجع التجارة الجزائرية، إذ قال: " **كانت الغرفة التجارية لمرسيليا تتتبع عن كثب نشاطات الجزائريين في مدينة مرسيليا. وكانت تلجأ إلى استعمال الذرائع المختلفة لإفشال مجهودهم. وكانت تكثف مساعيها لدى البلاط الملكي من أجل هذا الغرض** "([33]).

وقد استعملت غرفة مرسيليا كل الحيل والعراقيل لإبعاد الجزائريين ومجهزي السفن من مياهها الإقليمية. وهذا ما دفع الجزائريين إلى التنازل عن التجارة الخارجية لصالح الأوربيين، الذين جمعوا أرباحا معتبرة. ولم يتوقف دور الغرفة التجارية عند هذا الحد، بل حاولت عن طريق شركائها وعملائها، الاستيلاء على السفن الجزائرية في عرض البحر. وقد تخصصت بعض الجهات في مطاردة الأسطول الجزائري، أمثال مايورقة، وليفورنة، ومالطة. وكان تجار غرفة مرسيليا يدفعون أموالا طائلة لقراصنة مالطة لمهاجمة السفن الإسلامية، حتى تبقى التجارة حكرا على المسيحيين ([34]). وذلك يعني أن هناك نية مبيتة لدى الدول الأوربية للسيطرة على التجارة العالمية، وإقصاء الجزائر والدول المغاربية عامة منها.

ويبدو أن نظام الاحتكار الذي اعتمده حكام الجزائر من مطلع القرن السادس عشر إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر، كان محل انتقاد الأجانب، بحجة أنه كان وراء تدهور الاقتصاد الجزائري.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

ومن أولئك الذين انتقدوا ذلك النظام، القنصل الأمريكي شالر W. Shaler، إذ قال: " **إن نظام الاحتكار الذي اعتمدته الحكومة الجزائرية في جميع المراق، ومنعها تصدير المنتجات المحلية إلى الخارج، قد أدى إلى خراب التجارة الجزائرية، وقضى على الزراعة قضاء مبرما** " ([35]).

نعتقد أن الحكومة الجزائرية كانت تهدف من وراء ذلك النظام إلى ضمان معيشة السكان، وحماية اقتصادها من الاستغلال الأجنبي. إلا أنه على ما يبدو، لم تحقق هدفها، إذ أن معظم الفوائد التي كان يوفرها ذلك النظام، كانت تذهب إلى تجار اليهود والشركات الأجنبية، لاسيما لما تنازلت عن ذلك النظام لصالح تجار اليهود.

فإذا كانت قدرات الجزائر الاقتصادية لا تمثل شيئا حسب ما ورد في المصادر الغربية، فكيف نفسر ذلك التنافس المحتدم بين الدول الغربية، خاصة فرنسا، وإنجلترا، وهولندا. فكانت كل هذه الدول تسعى إلى كسب ود حكام الجزائر، لضمان عمليات التموين والتمويل، والظفر بصفقة تجارية. وما يؤكد ذلك ما ورد في إحدى الرسائل التي وجهها القنصل الفرنسي في الجزائر ديرون Durant، إلى بونشارتران Pontchartrain، وزير البحرية الفرنسية في عام 1705م، يحث فيها حكومته على المزيد من الهدايا لحكام الجزائر، بعد أن لاحظ أن الإنجليز كانوا يدفعون أكثر من الفرنسيين، مما كان يحقق نجاحا كبيرا لتجارتهم في الجزائر ([36]). ففي الوقت الذي كانت فرنسا تواجه الخطر الإنجليزي الهولندي، كانت أقاليمها الجنوبية تعاني مجاعة (1701-1710م). وكانت شركة هيلي Helly تصدر خلال تلك الفترة من الجزائر إلى مرسيليا ولوهافر Le Havre 200 ألف قنطار من الحبوب سنويا. إلا أن أولوية تصدير الحبوب، قد أعطيت للقنصل الإنجليزي، الذي كان يحسن التفاوض. وهناك من يرجع ذلك، إلى أن القنصل الإنجليز قد منح للديوان الجزائري 1400 برميل من البارود للحصول على حق احتكار شراء الحبوب لدى بعض القبائل الجزائرية. وهذا ما جعل القنصل الفرنسي كليرونبول Clairambault يوجه رسالة إلى وزير البحرية الفرنسية، ذكر فيها، " **أنه على الحكومة الفرنسية إن هي مصممة على العمل لتعكير صفو العلاقات بين الجزائر**

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

وإنجلترا، يجب عليها أن تدفع هدايا كبيرة، مما يؤدي بالإنجليز إلى مضاعفة هداياهم، ولاشك أن المستفيد الوحيد في النهاية من كل ذلك، هو داي الجزائر " ([37]).

لقد اعتبرت المصادر الغربية تلك الهدايا التي كان يدفعها القناصل والتجار الأجانب إلى حكام الجزائر للفوز ببعض الامتيازات التجارية في الجزائر، بمثابة رشاوى يفرضها حكام الجزائر عليهم. والرسائل التي أوردناها سلفا، تفند تلك الادعاءات جملة وتفصيلا، فالمتعاملون الغربيون هم الذين أدخلوا هذه الآفة إلى المجتمعات الإسلامية. فحكام الجزائر كغيرهم من حكام دول العالم، كانوا يستلمون الهدايا من القناصل الأجانب أثناء الموافقة على اعتمادهم، وهذا يعد تقليدا دبلوماسيا متعارف عليه في الأعراف الدولية في كل الأوقات. كما أن حكام الجزائر كانوا يطالبون الأجانب بمنحهم بعض المستلزمات الحربية التي تفتقر بلادهم إليها، مقابل حصولهم على بعض الامتيازات التجارية. والظاهر أن بعض القناصل والتجار الأجانب، كلما فشلوا في تحقيق أغراضهم، وأطماعهم التجارية، نتيجة السياسة التجارية الحازمة التي اتبعها حكام الجزائر، كانوا يطلقون عليهم أوصافا وصورا منحطة، مثل المتقشف، البخيل، الجاهل، الأمي، السكير، الأبله، المعتوه، المتعصب، المجنون، السفاح وغيرها من الأوصاف المذمومة ([38]).

4 – المصطلحات والمفاهيم الموظفة في ظاهرة القرصنة:

أخذت ظاهرة القرصنة وتداعياتها حيزا واسعا في المصادر الغربية. وكانت هذه الظاهرة سبب الخلافات والحروب التي كانت تحدث بين الضفتين الشمالية والجنوبية في معظم فترات الوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط. فكانت قضية القرصنة في مقدمة الذرائع التي كانت الدول الأوربية تبرر بها حملاتها العسكرية على الأقطار المغاربية، لاسيما الجزائر.

وكان مفهوم القرصنة لدى الغربيين، والتي اتهمت بها الجزائر، عبارة عن عمل لصوصي، فلهذا كانوا يوظفون في كتاباتهم مصطلح " Piraterie"، كلما تعلق الأمر بالبحارة الجزائريين. ولما يتحدثون عن القرصنة الأوربية، فيعرفونها ب " La course". فالمصطلح الأول الذي أطلق على

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

نشاط الجزائريين وجهادهم البحري، كان في نظر الغربيين، بمثابة عملية اعتداء، ونهب، تقوم بها مجموعة من اللصوص الأشرار. بينما المصطلح الثاني الذي يخص الأوربيين، فيعني العمل المنظم والمشروع، الذي يحظى برعاية وعناية الملوك والحكام الأوربيين. ومهما كان تعريف القرصنة ومفهومها، فإن بروديل F. Braudel كان على حق لما قال عنها : **إنها بنت البحر المتوسط المدللة والمعززة لدى كل الملوك والحكام، نظرا لما كانت تدره من أرباح لأصحابها** ([39]).

هناك من تناول هذه الظاهرة بكل موضوعية ونزاهة، فقال عنها: " **لم يكن ميناء مدينة الجزائر وكرا للقراصنة، بل ميناء ترسو به السفن الإنجليزية، ولدينا أدلة تثبت أن حكام الجزائر كانوا يميزون بين سفن وممتلكات الأمم الصديقة والعدو، وأن الحكام والديوان يسهرون على إنصاف كل الأطراف، وتطبيق العدالة كلما رفعت إليهم الشكاوى المتناقضة حول الغنائم التي كان يتم جلبها إلى الجزائر. ولم يصف الإنجليز ميناء الجزائر بميناء القراصنة، إلا عندما قام مغامرون مسيحيون بنقل نشاطهم من المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط في عام 1624م**" ([40]).

وقد يتفق ما قاله المؤرخ الإنجليزي فيشر مع ما ورد في كتاب كات E. Cat، الذي قال عن البحارة الجزائريين : " **لم يقوموا بالقرصنة لوحدهم، بل هناك الإنجليز، والهولنديون، وأناس من مختلف الأمم، كانوا يمارسون القرصنة بأكثر بشاعة وعنف**". وأضاف قائلا: " **قد رأينا خلال القرن السابع عشر الهولنديين، والإنجليز، والبنادقة، وفرسان مالطا، والجنويين، والنابوليتان، يحاربون البحارة الجزائريين، إلا أن حماسهم المتزايد، وصيانتهم الرائعة لأساطيلهم، سمحت لهم بأن يصمدوا أمام الأعداء** "([41]) . ويؤكد أحد الدارسين هذه الحقيقة، إذ ذكر " **أن القراصنة الأوربيين لم يكونوا على أعمال دفاعية ضد المسلمين فحسب، بل كانوا يبدون نشاطا قويا، إذ ينهبون سفن وسواحل البلاد الإسلامية**" ([42]). ويفهم مما أوردناه من آراء، أن القرصنة التي اتهمت بها الجزائر وحدها، إنما كانت فيما يبدو ممارسة عامة، شاركت فيها كل الدول البحرية آنذاك، وأن سلوك الجزائريين البحري، إنما كان في معظمه رد فعل للاعتداءات الأوربيين.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

وقد ورد في مذكرات أحد أسرى النرويج في الجزائر في القرن الثامن عشر حول علاقات الجزائر بالدولتين المتحدتين النرويج والسويد،" **أنه خلال فترة السلام الطويلة (1746-1769م)، كان الجزائريون يحترمون اتفاقيات السلام، رغم رغبتهم الملحة لأسر السفن والأسرى، فإنهم لما أسروا في عام 1761م سفينة سويدية نرويجية، التي كانت تبحر بين البرتغال وإيطاليا، وعلى متنها مائة وخمسين من رجال الدين الجيزويت، فكان الجميع يعتقد أن الجزائريين سيكبلونهم بالأغلال، إلا أن ذلك لم يحدث. فقد تم إطلاق سراح السفينة، وسمح لها بأن تواصل طريقها إلى إيطاليا. فالجزائريون كانوا يحترمون مبدأ السفينة المدنية والحمولة الحرة**" ([43]).

ومن القضايا التي ركزت عليها المصادر الغربية، قضية الغنائم البحرية التي كان يجلبها الأسطول الجزائري. فقد ضخمت من حجمها، ولا يستبعد أن يكون أصحاب هذا الادعاء، هو تبرير الغزو الفرنسي، شأنهم في ذلك شأن أولئك الذين اتهموا الجزائر بالقرصنة، والتي اتخذتها فرنسا ذريعة لشن حملة ضدها في عام 1830م. وأعتقد أن موضوع الغنائم يحتاج إلى دراسة دقيقة قصد اظهار الحقيقة.

ذهبت معظم المصادر الغربية إلى التأكيد على أن الاقتصاد الجزائري في الفترة العثمانية، كان يستند أساسا على الغنائم البحرية، وفدية الأسرى، وهدايا القناصل. ولكن بعد الاطلاع على بعض الوثائق، قد تبين أن موارد البحرية الجزائرية المترتبة على الغنائم البحرية، فمهما كانت قيمتها وحجمها، فإنها تعد قليلة الأهمية بالنسبة للاقتصاد الجزائري، وذلك لعدة أسباب، منها: - أن موارد البحرية لم تكن قارة وثابتة، فهي في تذبذب مستمر، كما أنها كانت مرتبطة بحالة الأسطول الجزائري، وبوضع علاقات الجزائر الخارجية. وعرفت موارد البحرية تراجعا كبيرا في أواخر القرن الثامن عشر، نتيجة تفوق الأسطول الأوربي في تلك الفترة، وردعه الحازم للأساطيل المغاربية ([44]).

- أن موارد البحرية الجزائرية لم يكن يدخل منها إلى خزينة الدولة، إلا جزءا قليلا، حيث كانت كل الأطراف المشاركة في عملية جلب الغنائم، تأخذ نصيبها، فهي تقسم على مجهزي المراكب،

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

والبحارة، والداي، وموظفي الميناء، والحمالين، والأولياء الصالحين بمدينة الجزائر ([45]). وقد علق حمدان بن عثمان خوجة، الذي عاصر العقود الأخيرة من الحكم العثماني، على هذا الموضوع، قائلا: **" عندما تجلب الغنائم إلى مدينة الجزائر، تباع للسكان، وتوزع قيمتها حينا على ذوي الحقوق، وتأخذ الخزينة العامة الخمس كنصيب لها ووفقا لما تنص عليه شريعتنا، على أن هذا الخمس لم يكن تاما أبدا، لأن الأشياء الثمينة كانت تؤخذ قبل الاطلاع على الغنائم "** ([46]).

– ذكر أحد مصادر القرن السابع عشر، الذي كان بمثابة العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، أن مقدار خمسة مرتبات الجنود كان يجلب من داخل الإيالة، أما الجزء السادس، فكان يأتي من موارد البحر، وهو غير مضمون ([47]). يفهم من هذا الكلام أن الجزء السادس القادم من البحر، غير قار، أي لم يكن مضمونا في بعض الفترات. وهذا دليل على أن مداخيل البحرية، التي كثر حولها الحديث، لم تكن تغطي إلا مقدار أجرة واحدة من الأجور التي كان يستلمها الجنود كل قمرين أو شهرين، وكان يحدث ذلك في الوقت الذي وصل فيه الأسطول الجزائري إلى ذروة عظمته. وهنا نتساءل عن حجم الموارد البحرية لما دخل الأسطول الجزائري في مرحلة التقهقر والضعف ؟

فمعظم الوثائق والسجلات الرسمية التي يقيد فيها مداخيل الدولة الجزائرية في تلك الفترة، تؤكد على أن معظم مصادر الدخل، كان يأتي من القطاعات الاقتصادية، لاسيما القطاع الزراعي ([48]).

ومهما كان حجم الغنائم البحرية، فإن السؤال الجوهري الذي لم تطرحه المصادر الغربية، هو ما هي الأسباب الحقيقية التي دفعت الرياس الجزائريين إلى اللجوء إلى ممارسة القرصنة ؟

وتكون الإجابة عن السؤال المطروح، على النحو الآتي: كانت السفن الجزائرية في أوقات السلم تتعرض للتفتيش من قبل الدول الأوربية، قصد إلقاء القبض على ربانها، بحجة أنهم أعلاج، ارتدوا عن دياناتهم المسيحية. فلهذا فضل الرياس الجزائريون الإبحار على أساطيل حربية لحماية أنفسهم من الأخطار التي كانوا يتعرضون لها، وأرغموا على ترك التجارة لبعض الأهالي يتولون أمرها، إلا أنهم لم ينجوا هم أيضا من المضايقات التي كانت الدول الأوربية تمارسها ضدهم. وكانت

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

الدول الأوربية تبرر اعتداءاتها بحجة أن الجزائريين قراصنة متنكرين في هيئة تجار ([49]). وكان الهدف من وراء تلك المضايقات، إقصاء الجزائريين من التجارة الدولية.

فقد علق بعضهم عن هذا الوضع، قائلا: " **ففي كل هذه الظروف، فإنه كيف يمكن أن نستغرب من رؤية الجزائريين يستمرون في ممارسة القرصنة لجلب الموارد التي لا يمكنهم الحصول عليها من تجارة سلمية** ؟ وقد تيقنت من ذلك في الأخير الأمم المسيحية، وارتفعت بعض الأصوات المنعزلة، التي اقترحت حلا لوضع حد لظاهرة القرصنة، مفاده، حسب ما جاء في إحدى المذكرات المنشورة في البندقية، **هو أن تمنح الدول الأوربية للمغاربة سفنا تجارية، وأن تفتح لهم الموانئ، وقد يؤدي ممارسة التجارة إلى التخلي عن القرصنة. وفي حالة ما إذا رفض المغاربة هذا الحل، فعلينا بمحاربتهم.** وأضاف في مذكرته، قائلا: **إن من يبحث عن الإنسان في الإنسان يجده مساويا له في كل الأمم وفي كل الأجواء**" ([50]). هذه الأفكار الإنسانية الجميلة، المستوحاة دون شك من مبادئ الثورة الفرنسية، لم تحصد منها الشعوب المغاربية إلا الويلات والمآسي، وباسم تلك المبادئ تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي في عام 1830م، ونعرف كلنا ما ترتب عليه من نتائج وخيمة تكبدها المجتمع الجزائري طوال قرن ونصف من الزمن.

يتضح مما تقدم أن هناك عمل شاق ينتظر المؤرخين الجزائريين في مجال تدوين تاريخ بلادهم، ولا يتحقق ذلك، إلا إذا تكاثفت الجهود. وقبل الحديث عن كتابة التاريخ الوطني، أعتقد أن البداية تكون بإعادة قراءة ما ورد في المصادر الغربية، وتصحيح المصطلحات والمفاهيم التي تضمنتها، انطلاقا من المصادر المحلية. وبعد هذه المرحلة، تأتي المرحلة الثانية، وهي الانطلاقة في الكتابة الفعلية للتاريخ الوطني.

فعلى المدرسين مناقشة محتوى المصادر الغربية مع طلبتهم، وتنبيههم إلى المغالطات الواردة فيها، والتأكيد على أنها بحاجة إلى نقد وتصحيح. والهدف من ذلك، هو تعويد الطلبة الباحثين على تجنب النقل الحرفي من تلك المصادر، على أساس أنها حقائق مسلم بها.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

قائمة المصادر والمراجع:

- **بن عثمان خوجة، حمدان،** المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980.

- **بونو، سلفاتور،** " العلاقات بين الجزائر وإيطاليا في العهد العثماني ترجمة أبو القاسم تومي، في مجلة الأصالة، العدد 6، الجزائر 1972.

- **التميمي، عبد الجليل،** " اول رسالة مني أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني 1519م "، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 5، تونس 1976.

- **سبنسر، وليام،** الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980.

- **سعد الله، أبو القاسم،** تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 9ج، بيروت 1998.

- **سعيدوني، ناصر الدين،** النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1800-1830، ش.و.ن.ت. الجزائر 1979.

- **شالر، وليام،** مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت. الجزائر 1982.

- **شريف الزهار، أحمد،** مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتعليق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر 1974.

- **عثمان أباظة، فاروق،** آثار تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعلى البحر المتوسط أثناء القرن 16م، دار المعارف، مصر 1987.

- **العنتري، محمد الصالح،** فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسينطينة واستيلائهم على أوطانهم، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، د.م.ج. الجزائر 1991.

- **غطاس، عائشة،** الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، 1700_1830، مقاربة اجتماعية - اقتصادية، منشورات و.و.ن.ش. الجزائر 2007.

- **الفكون، محمد بن عبد الكريم،** منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر 1987.

- **فون مالتسان، هانريش،** ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت. 2ج، الجزائر 1980.

- **وولف، جون ب.** ، الجزائر وأوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، م. و. ك. الجزائر 1986.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

- **Belhamissi, M.**, Marine et Marins d'Alger 1518-1830, Bib. Nationale d'Algérie, Alger 1996.

- **Boutin, Y.**, Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger 1808, in Mémoires et Documents, Algérie 1790-1827, Archives du M. R. E. France.

- **Braudel, F.**, La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II, Lib. Armand Colin, 2T. Paris 1966.

- **Cat, E.**, Petite histoire de l'Algérie, A. Jourdan, 2T. Alger 1889.

- **Chaillou, L.**, L'Algérie 1781, IPAC, France 1979.

- **Dan, P.**, Histoire de la Barbarie et de ses corsaires, Ricolet imp. du Roi, 2é. Paris 1637.

- **D'Aranda, e.**, Relation de la captivité de Sieur Emmanuel d'Aranda, jadis esclave à Alger, J. Momart imp. Bruxelles 1662.

- **De la Croix,** " Description abrégée de la ville d'Alger 1695", présenté par M. Emerit, in Annales de l'Institut d'études orientales, N°XI, Alger 1956.

- **D'Estry, S.**, Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Ad Mame et Cie, Tours 1845.

- **Devoulx, A.**, " Registre des prises maritimes", in R.A. N°17, Alger 1872.

- **Emerit, M.**, " L'Essai d'une marine marchande barbaresque au XVIIIe. Siècle, in Cahiers de Tunis, N°11, année 1955.

- État des redevances et présents que les Beys de Constantine et d'Oran payaient à la Régence d'Alger", Mémoires et Documents, Algérie 1831, Archives M.R.E. France.

- **Esterhazy, W.**, De la domination turque dans la Régence d'Alger, Lib. C. Gosselin, Paris 1840.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

- **Ferraud, L.**, " Époque de l'établissement des turques à Constantine", in R.A. N°10, Alger 1866.

- **Fisher, S. G.**, Légende barbaresque, Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord, trad. et annoté par F. Hellal, opu, Alger 1991.

- **Grammont, H. De,** Histoire d'Alger sous la domination turques 1515-1830, présentation de L. Merouche, Bouchene, paris 2002.

- **Haëdo, F. D.**, Histoire des Rois d'Alger, trad. de l'espagnol par Delmas, éd. Grand Alger livres, Alger 2004.

- **Haëdo, F. D.**, " Topographie et Histoire d'Alger", trad. A. Berbrugger, et Monnereau, in R.A. N°14-15, Alger 1870-1871.

- **Mercier, E.**, Constantine au XVIe. Siècle, Élévation de la famille El-Feggoun, Scolie édition, Alger 2004.

- **Moss, N.**, Un Norvégien à Alger 1762-1772, présentation Torbjorn Odegaard, éd. Statoil, Norvège, 2007.

- **Plante, E.**, Correspondances des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, éd. Bouslama, 2T. Tunis 1981.

- **Roy, J. J.**, Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, ad Mame et Cie, tours 1859.

- **Rozet et Carette,** Algérie, États Tripolitains, Didot frères éd. Paris 1850.

- **Rozet, M.**, Voyage dans la Régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, Arthur Bertrand, Lib. éd.,3T. Paris 1827.

- **Valensi, L.**, Le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion, Paris 1969.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

- Vallière, C. Ph., " mémoire sur Alger", pub. Par L. Chaillou sous le titre l'Algérie 1781, IPAC, France 1979.

الهوامش :

1. ([1]) Histoire des Rois d'Alger, trad. de l'espagnol par Delmas de Grammont, éd. Grand Alger livres, Alger 2004.
" Topographie et Histoire d'Alger", trad. de l'espagnol, par Berbrugger et Monnereau, in R.A. N°14-15, Alger 1870-1871
2. ([2]) Histoire de la Barbarie et de ses corsaires, Ricolet imp. du Roi, 2é. Paris 1637.
3. ([3]) E. D'Aranda, Relation de la captivité de Sieur Emmanuel d'Aranda, jadis esclave à Alger, J. Momart imp. Bruxelles 1662.
4. ([4]) Légende barbaresque, Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord 1415-1830, trad. et annoté, F. Hellal, O.P.U., Alger 1991.
5. ([5]) Boutin agent secret de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie Française, Frédéric Chambiand, Paris 1950.
6. ([6]) Main Basse sur Alger, Enquête sur un pillage, Juillet 1830,
7. ([7]) " Mémoire de Y. Boutin, Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger 1808", in Mémoires et Documents, Algérie 1790-1827, Archives du M.R.E. France.
8. ([8]) J. J. Roy, Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Ad. Mame et Cie, Tours 1859, pp.202-203.
9. ([9]) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980، ص81.
10. ([10]) نفسه، ص54.
11. ([11]) نفسه، ص144.
12. ([12]) ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980، 2ج، ج1، ص173.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

13. [13]) جون .ب. وولف، الجزائر وأوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، م.و.ك. الجزائر 1986، ص ص 159- 160.

14. [14]) مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824، تقديم وتعليق وترجمة إسماعيل العربي، ش.و.نـــ، ، الجزائر 1982، ص79.

15. [15]) W. Esterhazy, De la domination turque dans la Régence d'Alger, Lib. C. Gosselin, Paris 1840, p.257.

16. [16]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، 9ج. ج1، ص460.

17. [17]) C. Ph. Valliere, " Mémoire sur Alger", Pub. par L. Chaillou, sous le titre, L'Algérie en 1781, IPAC, France 1979, p.16.

18. [18]) للمزيد من التفاصيل عن التحولات الكبرى في القرن 16م، أنظر فاروق عثمان أباظة، آثار تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعلى البحر المتوسط أثناء القرن 16م، دار المعارف، مصر 1987.

19. [19]) عبد الجليل التميمي، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني 1519 "، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 5، تونس 1976، ص 116.

20. [20]) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م، ش.و.ن.ت.، الجزائر 1979، ص 118.

21. [21]) المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت.، الجزائر 1980، ص 111.

22. [22]) تولى أفرادها منصب شيخ البلد في قسنطينة، والذي كان يعد من المناصب المهمة في الهيكل الإداري العثماني. كما توارث أفراد الأسرة رئاسة ركب الحج . أنظر E. Mercier, Constantine au XVIe. Siècle, Élévation de la famille-Feggoun, Scolie édition, Alger 2004.

23. [23]) L. Féraud, " Époque de l'établissement des turcs à Constantine", in R.A. N°10, Alger 1866, p.192.

24. [24]) محمد بن محمد بن الفكون، منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر 1987، ص 57.

25. [25]) أنظر حول دور الأمناء في مدينة الجزائر، عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية واقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر 2007، ص 159.

26. [26]) أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتعليق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر 1974، ص 81.

27. [27]) ROZET ET CARETTE, Algérie, Didot frères édition, Paris 1850, p.8.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

28. [28] محمد الصالح العنتري، فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتعليق وتقديم يحيى بوعزيز، د. م. ج. الجزائر 1991، ص 49.
29. [29] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 119.
30. [30] M. Rozet, Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, Arthur Bertrand, lib. éd. Paris 1833, 3T. T.3,p.52.
31. [31] op. cit., pp.33-34.
32. [32] Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Admame et Cie, éd. Tours 1845, p.126.
33. [33] op. cit., p.34.
34. [34] M. Belhamissi, Marine et Marins d'Alger 1518-1830, Bib. Nationale d'Algérie, 1996, 3T. T.1,p.38.
35. [35] المصدر السابق، ص98.
36. [36] E. Plantet, Correspondances des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833, éd. Bouslama, Tunis 1981, 2T. T.1, p;36.
37. [37] Ibid. p.65.
38. [38] حول هذه الصور والأوصاف، أنظر، H. De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830, présentation de L. Merouche, Bouchene, Paris 2002, p.219.
39. Chaillou, op. cit., p.6.
40. [39] La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II, Lib. Armand Colin,2T. T.I, Paris 1966.
41. [40] S. G. Fisher, Légende barbaresque, Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord 1415-1830, trad. et annoté par Farida Hellal, OPU, Alger 1991, p.179.

تاريخ الارسال: 2021/01/12 تاريخ القبول:2021/01/15 تاريخ النشر 2021/01/21

42. ([41]) Petite Histoire de l'Algérie, A. Jourdan, Alger 1889, 2T. T.1, p.291.

43. ([42]) بونو سلفاتور، " العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد العثماني ترجمة أبو القاسم بن تومي، في مجلة الأصالة، العدد 6، الجزائر 1972، ص 102.

44. ([43]) N. Moss, Un Norvégien à Alger 1769-1772, présentation Torbjorn Odegaard, éd. Staoil, Norvège 2007, p.14.

45. ([44]) L. Valensi, Le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion, Paris 1969, p.64.

46. ([45]) A. Devoulx, " Registre des prises maritimes", in R.A. N°17, Alger 1872, p.70.

47. ([46]) المصدر السابق، ص118.

48. ([47]) De Lacroix , " Description abrégée de la ville d'Alger 1695", présenté par M. Emerit, in annales de l'Institut d'études orientales, Alger 1956, T.XI, p.17.

49. ([48]) " État des redevances et présents que les Bey de Constantine et D'Oran payaient à la Régence d'Alger", Mémoires et Documents, Algérie 1831, Archives M. R. E. France.

50. ([49]) M. Emerit, " l'essai d'une marine marchande barbaresque au XVIIIe. Siècle" , in Cahiers de Tunis N°11, année 1955, p.363.

51. ([50]) Valensi, op. cit., p.64.